الهجرة وحوار الأديان:
قراءة في نصٍّ تأسيسي

Migration and Interfaith Dialogue: A Reading in a Foundational Text

د. عبد العالي المتقي

جامعة ابن زهر
المغرب

a.elmoutaki@uiz.ac.ma

الهجرة وحوار الأديان:
قراءة في نصٍّ تأسيسي

د. عبد العالي المتقي

ملخّص:

تسعى هذه الورقةُ البحثيةُ إلى قراءة نصٍّ تأسيسيٍّ في تاريخ العلاقات الإسلامية المسيحية، وهو حوار جعفر بن أبي طالب مع النجاشي ملك الحبشة، الذي يُعدُّ من أوائل الحوارات الإسلامية المسيحية في القارة الإفريقية، ويؤرّخ في الوقت ذاته لأول هجرة إسلامية خارج الجزيرة العربية .وتهدف الدراسةُ إلى استجلاء القيم الحضارية والإنسانية التي يكتنزها النصُّ، واستثمارها في سياق الحوار المعاصر بين الأديان، من خلال ثلاثة محاور رئيسة :أوَّلُها السياقُ التاريخيُّ والمكانيُّ والدينيُّ للهجرة والحوار، وثانيها القيمُ التأسيسية التي أرساها الحوار كالصدق والقيم الإنسانية المشتركة واحترام معتقدات الآخر، وثالثها حوارُ الأديان بوصفه آليةً لحماية حقوق المهاجرين في ضوء مبادئ القانون الدولي الحديث .وتخلص الدراسةُ إلى أن هذا النصَّ يمثِّل نموذجاً مؤسِّساً يمكن الإفادةُ منه في مواجهة التحديات المعاصرة للهجرة واللجوء وحوار الأديان.

الكلمات المفاتيح :الهجرة، حوار الأديان، الحوار الإسلامي المسيحي، جعفر بن أبي طالب، النجاشي، القيم الإنسانية المشتركة، حقوق المهاجرين.

ABSTRACT:

This paper provides an analytical reading of a foundational text in Islamic-Christian relations: the dialogue between Ja'far ibn Abi Talib and the Negus, King of Abyssinia. This encounter represents one of the earliest interfaith dialogues in Africa and marks the first Muslim migration beyond the Arabian Peninsula. The study aims to elucidate the civilizational and humanitarian values embedded in the text, exploring their relevance to contemporary interfaith discourse. The analysis is structured across three axes: the historical and religious context of migration; the core values established—notably honesty and mutual respect; and interfaith dialogue as a framework for protecting migrants' rights under modern international law. The study concludes that this text offers a seminal model for addressing contemporary challenges related to migration, asylum, and religious pluralism.

Keywords: Migration, Interfaith Dialogue, Islamic-Christian Dialogue, Jafar Ibn Abi Talib, The Negus, Shared Human Values, Rights of Migrants.

1- مقدّمة:

ترتبط الأديانُ بنصوصها؛ فمنها تستلهم قيمَها ومقاصدَها وأحكامَها، وهي التي تُشكِّل رؤيتَها للعالم، وبها يتمكَّن المتديِّن من تسديد ممارسته وتقويمها .والنصوص ليست بمنزلة واحدة في حضورها واستحضارها وتمثُّلها؛ بل تتفاوت بتفاوت درجاتها ومراتبها وسياقاتها؛ فثمة نصوص تُرى وتُثار وتُستثمر، وثمة نصوص تتوارى وتُحجب .وفي السياق الإسلامي نجد في الأزمنة الحديثة نصوصاً استعادت قوَّتَها وراهنيَّتَها وتداوُلَها، وكانت مجالاً لتجديد النظر فيها في إطار أسئلة جديدة أصبحت لها راهنيةٌ .ومن تلك الأسئلة التي أضحت مثارَ تداولٍ بين علماء الأديان، سؤالُ حوار الأديان الذي ارتبط بالتحولات التي تعرفها الحضارة الإنسانية؛ إذ لم تعد الأديانُ أسيرةَ جغرافيا إقليمية كما كان الأمر عليه في الأزمنة القديمة، بل امتدَّت الأديانُ خارج جغرافيتها التقليدية وتفاعلت مع سياقات وتحديات جديدة، وظهرت جغرافيا جديدة للأديان كان من أسبابها الرئيسة الهجرةُ بكل أنواعها.

تسعى هذه الورقةُ إلى قراءة نصٍّ استعاد راهنيَّتَه في سياق الحوار الإسلامي المسيحي، وهو نصُّ حوار جعفر بن أبي طالب مع الملك النجاشي، الذي يؤرِّخ لأول حوارٍ إسلامي مسيحي في القارة الإفريقية، ويؤرّخ أيضاً لأول هجرة للمسلمين خارج الجزيرة العربية.

وستعمل الورقةُ على استجلاء القيم الحضارية والإنسانية التي يكتنزها النصُّ، والتي يمكن استثمارها في واقع الحوار بين الأديان، مستحضِرين في ذلك اختلافَ الأزمنة وتفاوتَ التحديات.

2- الهجرة والحوار الإسلامي المسيحي :السياق والنص:

لكلّ حوارٍ سياقٌ يؤطِّره ويوجِّهه، وحوارُ الأديان تتفاوت مضامينُه بتفاوت أزمنته وأمكنته وموجباته، فلا يمكن حملُه على سياق واحد، بل الأَوْلى السعيُ إلى فهم السياق الخاص لكل حوار لكي نستوعبَه وتتضح مراميه ومقاصده.

ولقد كان الحوار الإسلامي المسيحي جزءاً أساسياً من التجربة الإسلامية في مرحلتها التكوينية الأولى؛ فلقد جاء الإسلامُ وكان للمسيحيين وجودٌ واقعي في نجران اليمن والجزء الشمالي من شبه الجزيرة العربية، كما قامت بين المسلمين ومسيحيِّي الحبشة علاقةٌ وِدِّيةٌ أدَّت إلى هجرة عدد من المسلمين إليها مرّتين.

ويمثِّل حوارُ جعفر بن أبي طالب والنجاشي ملك الحبشة من البواكير الأولى للحوار الإسلامي المسيحي، وهو حوارٌ لا يمكن فصلُه عن سياقه التاريخي والمكاني والديني؛ فالأَوْلى فهمُ هذه السياقات قبل إيراد نصِّ الحوار واستجلاء ما يتضمَّنه من قيم.

2-1- السياق التاريخي:

في العام الخامس من البعثة النبوية (في حدود615 م تقريباً)، وتحديداً في شهر رجب، أذِن رسولُ الله ﷺ لبعض أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وذلك بعد أن اشتدَّت وطأةُ مشركي قريش عليهم وزاد حدُّ التنكيل بهم . ولقد صوَّرت أمُّ سلمة- وهي ممن هاجر إلى الحبشة في الهجرة الأولى -الظروفَ التي أحاطت بهذه الهجرة،

قالت : «لمَّا ضاقت علينا مكةُ وأُوذي أصحابُ رسول الله ﷺ وفُتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفعَ ذلك عنهم، وكان رسول الله ﷺ في مَنَعةٍ من قومه وعمِّه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابَه، فقال لهم رسول الله ﷺ :"إن بأرض الحبشة ملكاً لا يُظلم أحدٌ عنده، فالحَقُوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه"، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دارٍ إلى خير جار، آمنين على ديننا ولم نخشَ منه ظلما»[1].

وكانت تلك أولَ هجرة في الإسلام، هاجر فيها أحدَ عشر رجلاً وأربعُ نسوة، فأقاموا شعبانَ ورمضانَ، ثم رجعوا في شوَّال؛ وذلك بعد وشاية نُقلت إليهم بأن قريشاً دخلت في الإسلام وتصالحت مع رسول اللهﷺ ، غير أن هذه الوشاية ما لبثت أن انكشف أمرُها بعد أن عاود مشركو قريش التنكيلَ بالمسلمين، فشرع المسلمون في الهجرة مرة أخرى إلى الحبشة، فكانت هذه هي الهجرة الثانية من العام نفسه .وقد بلغ عددُهم اثنين وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة، وكانوا ينتمون إلى قبائل مختلفة، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ابنُ عمِّ النبي .ﷺ لكن قريشاً لم تدَعْهم هذه المرة، بل أرسلت إلى النجاشي وفداً محمَّلاً بالهدايا كي يُسلِّمهم، وكان على رأس هذا الوفد عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي، وقد كادا للمسلمين عند النجاشي كي يَرُدَّ جِوارَه عنهم ويُسلِّمَهم إلى قريش[2].

وتكتسب الهجرةُ الثانية إلى الحبشة أهميةً خاصة كونها لم تكن مجرَّد هروب من الاضطهاد، بل كانت موقفاً مبدئياً اتَّخذه ذوو المكانة في قريش .فقد تضاعف عدد المهاجرين في هذه المرحلة، وكان معظمُهم من المنتمين إلى رؤوس القبائل القرشية: كقبائل بني هاشم وبني أمية وبني عبد شمس وبني أسد وبني مخزوم وغيرها[3].

وقد مثَّل هذا الواقعُ الاجتماعيُّ حجَّةً قوية للمهاجرين أمام النجاشي؛ إذ أظهر أن هجرتَهم لم تكن فراراً للعبيد من سادتهم، بل كانت خياراً مبنياً على قناعة دينية .وقد تعزَّزت شرعيةُ موقفهم وقوَّتُه بكون الناطق بلسانهم هو جعفرُ بن أبي طالب ابنُ عمِّ النبيﷺ، الذي يمثِّل مكانةً اجتماعية مرموقة، مما منح الخطابَ ثقلاً سياسياً وأخلاقياً عالياً.

2-2- السياق المكاني:

يُعدُّ حوارُ جعفر بن أبي طالب مع النجاشي ملك الحبشة من الأشكال الأولى للحوار بين الأديان في القارة الإفريقية، وتحديداً بين المسيحية والإسلام.

ولقد أُجري الحوارُ في الحبشة، وهي الآن المنطقة التي تُدعى «شمال افريقيا الشرقية»، وتضمُّ حالياً عدة بلدان :إثيوبيا وجيبوتي وإريتريا، وتمتد جنوبَ السودان وشمالَ الصومال وكينيا، وتطلُّ على البحر الأحمر شرقاً الذي يُعدُّ صلةَ وصلٍ بينها وبين الجزيرة العربية، خصوصاً عبر مضيق«باب المندب».

1- سيرة ابن إسحاق، ص213.

2- خطاب جعفر بن أبي طالب للنجاشي في أحداث الهجرة الثانية إلى الحبشة، هاني علي محمد سعيد، ص121-119.

3- ينظر أسماء المهاجرين وقبائلهم في سيرة محمد بن إسحاق، ص226-223.

ولقد تباينت آراء الباحثين في تحديد مكان الهجرة بالضبط؛ فمنهم من قال إن الهجرة وقعت إلى مملكة أكسوم في إثيوبيا الحالية، وذهب آخرون إلى أنها كانت إلى مصوَّع الواقعة حالياً في إريتريا، [1]بينما رأى بعضُ علماء السودان- وفي مقدِّمتهم عبد الله الطيب [2]-أنها كانت بساحل سواكن في السودان لموقعه المقابل لميناء الشُّعيبة الذي كانت مكة تُبحر منه إلى الحبشة[3].

ويتساءل المرء :لماذا اختيرت الحبشةُ دون غيرها من الأمصار القريبة من الجزيرة العربية، ولماذا النجاشي بالذات؟

لقد اجتمعت في الحبشة مجموعةٌ من المواصفات جعلتها ملاذاً آمناً للمسلمين من الاضطهاد الذي تعرَّضوا له من قريش؛ فأرضُ الحبشة معلومةٌ للعرب قبل الإسلام وكانت لهم رحلاتٌ إليها .كما أنها مكانٌ فيه أهمُّ مقوِّمات الحياة؛ فقد كانت متجراً يتاجرون فيه ويجدون فيه «رَفاغاً [4]من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً» [5].علاوة على ذلك، فهي لا تقع تحت سيطرة الفرس ولا الروم.

فاختيارُ النبي ﷺ الحبشةَ مكاناً للهجرة لم يكن اختياراً اعتباطياً، بل كان استحضاراً لقيمتين مهمتين في العلاقة بين الأمم :العدلُ والصدق .إنه عدلُ الملك وصدقُ الأرض وأهلها؛ وهي قيمُ الفطرة التي يستطيع الكلُّ الاستظلالَ بها والاطمئنانَ إليها .فقد قال ﷺ عن النجاشي إنه «ملكٌ عادل لا يُظلم أحدٌ عنده»، وقال عن الحبشة إنها «أرض صدق» .والصدقُ هو السببُ الرئيسي للأمن والأساسُ له، وحاجةُ الغريب إلى الصدق ممن حوله أكبرُ من حاجته إلى أي شيء آخر[6].

3-2- السياق الديني:

رغم اختلاف الباحثين في تحديد المكان الدقيق لهجرة المسلمين، فإن المصادر تتّفق على أن المسيحية أصبحت الديانةَ الرسمية لمملكة أكسوم في منتصف القرن الرابع الميلادي على يد القديس فرومنتيوس في عهد الملك إيزانا .وتأسَّست الكنيسةُ الأرثوذكسية الإثيوبية بعد تعيين أول أسقف لها من قِبَل القديس أثناسيوس الإسكندري.

وبعد انشقاق مجمع خلقيدونية عام451 م، ارتبطت كنيسةُ إثيوبيا بكنيسة الإسكندرية القبطية التي تعتنق العقيدةَ الميافيزية، القائلة بالطبيعة الواحدة للمسيح بعد الاتحاد الكامل بين لاهوته وناسوته .وهذا التوجُّه اللاهوتي فصلها عن الكنائس الكاثوليكية التي أقرَّت عقيدة «الطبيعتين» .واستمرَّت المسيحية في الانتشار في أنحاء الحبشة حتى صارت الديانةَ المهيمنة على معظم أرجائها بحلول القرن السادس الميلادي[7].

1- إريتريا والحبشة، محمود شاكر، ص15.

2- هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ، عبد الله الطيب، مجلة دراسات إفريقية، العدد18 ، يناير1998 م، ص8.

3- الربيع الأول :قراءة سياسية واستراتيجية في السيرة النبوية، وضاح خنفر، ص147.

4- رَفاغاً :سَعَةً في العيش والخِصْب.

5- تاريخ الأمم والملوك، الطبري، 2/328 .

6- الهجرة وقيم الفطرة، مختار خواجة، مجلة أديان، العدد10 ، مايو2017 م، ص42.

7- الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية تيواهيدو، كريستين شايبو، ص21.

4-2- نصُّ الحوار:

ذكرت مجموعةٌ من المصادر الإسلامية نصَّ الحوار الذي جرى بين جعفر بن أبي طالب والنجاشي، وسنعتمد الرواية التي نُقلت عن أمِّ سلمة بنتِ أبي أمية بن المغيرة زوجةِ النبيﷺ ، التي كانت من المهاجرين الأولين إلى الحبشة:

« [...]ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولُهُ اجْتَمَعُوا، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إِذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا :نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ كَائِناً فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ .فَلَمَّا جَاءُوا وَقَدْ دَعَا النَّجَاشِيُّ أَسَاقِفَتَهُ فَنَشَرُوا مَصَاحِفَهُمْ حَوْلَهُ، سَأَلَهُمْ فَقَالَ :مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ وَلَمْ تَدْخُلُوا فِي دِينِي وَلَا فِي دِينِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ؟ قَالَتْ :فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لَهُ :أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولاً مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ .قَالَتْ :فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الْإِسْلَامِ، فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئاً وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا، فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ مِنْ عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَنْ نَسْتَحِلَّ مَا كُنَّا نَسْتَحِلُّ مِنَ الْخَبَائِثِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بَلَدِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ وَرَغِبْنَا فِي جِوَارِكَ وَرَجَوْنَا أَنْ لَا نُظْلَمَ عِنْدَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ .قَالَتْ :فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ :هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ :فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ :نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ :فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْراً مِنْ سُورَةِ مَرْيَمَ .قَالَتْ :فَبَكَى وَاللَّهِ النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ :إِنَّ هَذَا وَاللَّهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللَّهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمَا أَبَداً وَلَا أُكَادُ . قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ :فَلَمَّا خَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ :وَاللَّهِ لَأُنَبِّئَنَّهُمْ غَداً عَيْبَهُمْ عِنْدَهُ ثُمَّ لَأَسْتَأْصِلَنَّ بِهِ خَضْرَاءَهُمْ .قَالَتْ :فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ وَكَانَ أَتْقَى الرَّجُلَيْنِ فِينَا :لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَاماً وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا .قَالَ :وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّهُ أَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ .قَالَتْ :ثُمَّ غَدَا عَلَيْهِ الْغَدَ فَقَالَ لَهُ :أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ قَوْلاً عَظِيماً فَأَرْسِلْ إِلَيْهِمْ فَاسْأَلْهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ فِيهِ . قَالَتْ :فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ يَسْأَلُهُمْ عَنْهُ .قَالَتْ :وَلَمْ يَنْزِلْ بِنَا مِثْلُهُ .فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إِذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا :نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِناً فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ .فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالَ لَهُمْ :مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ :نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ .قَالَتْ :فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُوداً ثُمَّ قَالَ :مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ .فَتَنَاخَرَتْ بَطَارِقَتُهُ حَوْلَهُ حِينَ قَالَ مَا قَالَ فَقَالَ :وَإِنْ نَخَرْتُمْ وَاللَّهِ اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي- وَالسُّيُومُ :الْآمِنُونَ -مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ ثُمَّ مَنْ

سَبَّكُمْ غُرِّمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْراً مِنْ ذَهَبٍ وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلاً مِنْكُمْ- وَالدَّبْرُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ :الْجَبَلُ -رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ .قَالَتْ :فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ مَقْبُوحَيْنِ مَرْدُوداً عَلَيْهِمَا مَا جَاءَا بِهِ وَأَقَمْنَا عِنْدَهُ بِخَيْرِ دَارٍ مَعَ خَيْرِ جَارٍ»[1].

أوردتُ نصَّ الحوار بين جعفر بن أبي طالب والنجاشي- بعد بيان سياقه المكاني والزمني والديني -لأنه نصٌّ ثريٌّ بما يتضمَّنه من قيم ومواقف إنسانية وأخلاقية، وهو ما يجعله من النصوص التأسيسية لأدبيات حوار الأديان بين الإسلام والمسيحية في سياق الهجرة.

3- حوار جعفر بن أبي طالب والنجاشي وتأسيس قيم حوار الأديان:

تضمَّن حوارُ جعفر بن أبي طالب مع النجاشي مجموعةً من القيم والمبادئ التي يمكن استلهامُها في سياق الحديث عن الهجرة وحوار الأديان؛ وهي قيمٌ يمكن استثمارُها في حوار الأديان باستحضار إكراهات الواقع المعاصر وخصوصيَّته.

3-1- الصدق والصراحة:

لا بدَّ لكل حوار يُراد له النجاحُ من الصدق في المقصد والصراحة في التعامل، لا سيَّما إذا كان الحوار في قضايا كبرى ترتبط بالدين، لأن الحوار القائم على نوايا ومقاصد فاسدة يؤدّي إلى إخفاء الحقائق وتزييفها.

وفي نصِّ الحوار نجد حرصَ المسلمين على الصدق والصراحة؛ فعندما أرسل النجاشيُّ إلى المسلمين، اجتمعوا وقال بعضُهم لبعض :«مَا تَقُولُونَ لِلرَّجُلِ إذَا جِئْتُمُوهُ؟ قَالُوا :نَقُولُ وَاللَّهِ مَا عَلِمْنَا وَمَا أَمَرَنَا بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ، كَائِناً فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ».

وأكَّدوا موقفَهم في المجلس الثاني حين اجتمعوا قبل حضوره :«فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ :مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى إذَا سَأَلَكُمْ عَنْهُ؟ قَالُوا :نَقُولُ وَاللَّهِ فِيهِ مَا قَالَ اللَّهُ وَمَا جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا كَائِناً فِي ذَلِكَ مَا هُوَ كَائِنٌ».

فلا يمكن تأسيسُ حوار بين الأديان من خلال تزييف عقائدها وقيمها وادّعاء عقائد وقيم وأحكام لا تتَّسق مع نصوصها ومقاصدها؛ فالصدق مدخلٌ لتأسيس حوارٍ بين الأديان يُقِرُّ الاختلافَ ويتفهَّمه ويستوعبه .وقيمةُ الصدق في حوار الأديان تنطلق من خلال مسارين:

أ -**الصدق مع الذات** :فالمحاوِر يجب أن يكون صادقاً أميناً في التعبير عن عقيدته وقيمه الخاصة؛ فالحوار ليس مكاناً لإخفاء الحقائق الإيمانية أو التنازل عنها لأجل التوافق الظاهري .والصدق هو ما يمنح المحاورَ هويَّتَه الدينية الكاملة ويحميها من الذوبان أو التشويه، ويجعل منه ممثّلاً حقيقياً لدينه؛ فالحوار الحقيقي لا يُبنى على إخفاء الحقائق بل على الوضوح الكامل لكل طرف في التعبير عن ذاته.

---

[1] 1- سيرة ابن هشام، 1/289-291 .

ب -**الصدق مع الآخر** :يتطلَّب الحوارُ أن يكون كل طرف صادقاً في فهمه لوجهات نظر الآخر؛ وهذا يعني تجنُّبَ التزييف والتحريف والتنميط، والسعيَ بصدق إلى فهم معتقدات الطرف المقابل من مصادره الأصلية .فالصدق في هذا السياق هو ما يُمكِّن الحوارَ من تجاوز مجرَّد تبادل المعلومات إلى تأسيس علاقة تقوم على الاحترام المتبادل والثقة. إنه يقر الاختلافات العقائدية دون أن يجعلها عقبة، بل نقطة انطلاق لفهم أعمق، ويجعل من الحوار مسارًا إنسانياً مشتركاً نحو السلام والتعاون.

ولذلك يقتضي حوار الأديان تجاوز المجاملات وعرض تصورات الأديان كما هي دون تغيير ولا تحريف ولا تزييف، لأنه حوار بين معتنقين ومعتقدين واعين بخصوصية كل دين في عقائده وأحكامه.

ولقد أكد البابا فرنسيس في الارشاد الرسولي "فرح الانجيل" هذه القيم في سياق الحوار الإسلامي المسيحي فقال: " لدعم الحوار مع الإسلام، لا بد من تنشئة المتحاورين بما يلائم ليس فقط ليكونوا متأصلين بثبات وفرح في هويتهم الخاصة، بل أيضا ليكونوا قادرين على التعرف على قيم الآخرين، وتفهم الاهتمامات الكامنة تحت شكاواهم، وإلقاء الضوء على القناعات المشتركة، علينا نحن المسيحين أن نستقبل بعطف واحترام المهاجرين المسلمين الوافدين إلى بلدنا"[1].

2-3- القيم الإنسانية المشتركة:

انطلق جعفر بن أبي طالب في خطابه أمام النجاشي من ثلاث قضايا مهمة:

- **حالة المجتمع الجاهلي** :«أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ».
- **الدعوة الجديدة** :«فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالِ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَاتِ وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَامِ».
- **الظلم الو اقع على المسلمين في مكة** :«فَعَدَا عَلَيْنَا قَوْمُنَا فَعَذَّبُونَا وَفَتَنُونَا عَنْ دِينِنَا لِيَرُدُّونَا إِلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَلَمَّا قَهَرُونَا وَظَلَمُونَا وَضَيَّقُوا عَلَيْنَا وَحَالُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ دِينِنَا خَرَجْنَا إِلَى بِلَادِكَ وَاخْتَرْنَاكَ عَلَى مَنْ سِوَاكَ».

لقد تحدَّث جعفر بن أبي طالب بحكمة تجاوزت منطق الحق الديني والباطل الديني، وانطلق نحو الحق بوصفه قيمةً مدركَةً بالفطرة؛ فلم يكتفِ بالقول إن المجتمع الجاهلي وثني، بل شرح المظالمَ الاجتماعية المتفشّية فيه، وكيف أن الدعوة الجديدة تأمر بمكارم الأخلاق والمشاعر الدينية المتعارف عليها إضافةً إلى عقيدة التوحيد، ثم ختم بالحديث عن الظلم الواقع على المسلمين في مكة.

---

[1] 1- الإرشاد الرسولي فرح الإنجيل، البابا فرنسيس، الفقرة 253، ص193.

إن الإحساس الفطري هو الإحساس الذي يكشف في كثير من الأحيان عن القيم المشتركة ويعززها، ويسمح بالتأسيس للعلاقة بين البشر أن تأخذ أطوارا أبعد وأعمق آثرا.[1]

وهذا المسلك الذي سلكه جعفر بن أبي طالب مع النجاشي يعد من المسالك المعاصرة في حوار الأديان ويرتكز على القاعدة الأخلاقية للأديان، ويسعى إلى وجود قيم أخلاقية مشتركة بينها، يمكن من خلالها إرساء قاعدة يلتف حولها أصحاب الأديان المختلفة، وقد شهد هذا النوع من الحوار رواجا بين علماء الأديان في الفترة الأخيرة، خاصة مع تزايد موجة الانحلال الخلقي في العالم التي شملت أنحاء العالم، مما دفع المفكر الكاثوليكي السويسري الألماني هانز كونغ، وأحد أبرز دعاة حوار الأديان في العالم إلى تبني مشروع الأخلاق العالمية.[2]

يتساءل كونغ في مشروعه عن فرص إرساء وفاق أخلاقي بين الأديان بعيدا من الضوابط العقدية المتضاربة والمتناقضة أحيانا، ويسرد خمس نقاط جوهرية لمشروع الأخلاق العالمية:

- الحرص على نعيم الإنسان وصون كرامته.
- اعتماد القواسم المشتركة بين البشرية : لا تقتل، لا تكذب، لا تقترف فعل مشينا، أحب والديك وأبناءك وأكرمهم.
- مبدأ العيش السوي بين الهجرة والحرية.
- خلق حوافز العمل الخلقي من خلال صور معيارية لبوذا، والمسيح، وكونفشيوس، ومحمد صلى الله عليه وسلّم.
- إيجاد جواب لأزمة المعنى، عبر التعايش.

ومن ثم يقتضي إرساء الأخلاق – من منظور كونغ- الاشتغال على مستويين: بالتطلع لوفاق جامع بين الأديان فيما هو خلقي وغير خلقي؛ وبالبحث عن وفاق بين المؤمنين، وغير المؤمنين من خلال السعي للوقوف على أرضية مشتركة، رغم ما قد يلوح من تباين للوهلة الأولى؛ فالهدف بالأساس هو حفظ النوع البشري، ولعل توكيل الدين بهذه المهمة – كما يبرز هانز كونغ – إيمان بجليل أثره " فمن يقدر اليوم على تحريك ملايين البشر لفائدة أخلاق عالمية، إن لم تكن الأديان هي الموكلة بذلك".[3]

إن الحوار من مدخل القيم الإنسانية المشتركة مدخل أصيل في الحوار بين الأديان، فهي قيم إنسانية عامة جمعت البشرية قديما، ويمكن أن تجمعها حديثا من خلال إحياء هذه القيم المشتركة التي يعيش بها الإنسان في كل المجتمعات التي طورها، وتمثل هذه القيم المشتركة مجموعة المبادئ التي عرفها الإنسان في تاريخه بصرف النظر عن اختلاف مصادرها، وتعدد أنساقها، وتنوع أشكالها، ويمكن أن نذكر بين هذه القيم

---

[1] الهجرة وقيم الفطرة، مختار خواجة، مجلة أديان، عدد 10، 2017، 46.

[2] بخصوص مشروع الأخلاق العالمية، ينظر كتاب طه عبد الرحمن "الأخلاق العالمية: مداها وحدودها"، سلسلة ورقات طابة، أبو ظبي، العدد 1، يونيو 2008، ص9-11.

[3] الديانات العالمية ومنزلة الأخلاق في لاهوتها: هانز كونغ نموذجا ، عز الدين عناية، مجلة تفاهم العدد، 55-56، شتاء وربيع 2017، ص209.

الإنسانية المشتركة قيم الحب، والجمال، والخير، والعدالة، والتسامح والكرامة والسلم.. وغير ذلك من المشترك القيمي على المستوى الإنساني. وهي قيم لا يختلف عليها أحد، وتدعمها الأديان والحضارات، وتعبر عنها الآداب الإنسانية على اختلاف أنواعها ولغاتها، ولا تختلف الشعوب حول هدف هذه القيم المشتركة حيث أن غايتها جميعا بناء مجتمع إنساني مثالي تنظم فيه علاقات الأفراد من خلال هذه القيم التي تضمن تحقيق سعادة الإنسان، وتضمن استمرارية الحياة الإنسانية.[1]

ولقد عرفت العلاقات الإسلامية المسيحية تطورا مهما بعد انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني، وذلك على مستويين : مستوى عملي: شمل تعزيز القيم الإنسانية المشتركة وأهمية العمل المشترك من أجل العدالة والسلام وتطوير المجتمعات الإنسانية، ولا سيما في ظل أوضاع متأزمة سياسيا.

ومستوى لاهوتي : عرف زخما مهما بفضل عمل بعض المرسلين والمستشرقين والمختصين في الإسلام، وقد ترجم هذا التطور في الجانب الكاثوليكي، بتعليم الكنيسة عن الخلاص والقيم الروحية المشتركة مع المسلمين.[2]

فقد صرح المجمع الفاتيكاني الثاني أن الكنيسة تنظر " بعين الاعتبار أيضًا الى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحيّ القيوم الرحيم الضابط الكلّ خالق السماء والأرض المكلّم البشر. ويجتهدون في أن يخضعوا بكلّيتهم حتى لأوامر الله الخفية، كما يخضع له إبراهيم الذي يُسند إليه بطيبة خاطر الإيمان الإسلامي. وإنهم يجلّون يسوع كنبيّ وان لم يعترفوا به كإله، ويكرّمون مريم أمّه العذراء كما أنهم يدعونها أحيانًا بتقوى. علاوة على ذلك أنهم ينتظرون يوم الدين عندما يثيب الله كلّ البشر القائمين من الموت؛ ويعتبرون أيضًا الحياة الأخلاقية ويؤدّون العبادة لله لا سيّما بالصلاة والزكاة والصوم.

وإذا كانت قد نشأت، على مرّ القرون، منازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيّين والمسلمين، فالمجمع المقدّس يحضّ الجميع على أن يتناسوا الماضي وينصرفوا بإخلاص الى التفاهم المتبادل، ويصونوا ويعزّزوا معًا العدالة الاجتماعية والخيور الأخلاقية والسلام والحرّية لفائدة جميع الناس."[3]

ولقد تعززت ديناميات الحوار الإسلامي المسيحي بناء على هذا المنظور من خلال القيام بمجموعة من المبادرات وإصدار مجموعة من الوثائق وكان آخرها "وثيقة الأخوة الإنسانية من أجل السلام العالمي والعيش المشترك" وهي إحدى أبرز وأهم الوثائق المعاصرة في مجال الحوار بين الأديان. تم توقيعها في 4 فبراير 2019 في أبوظبي من قبل الإمام الأكبر أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، والبابا فرنسيس، بابا الكنيسة الكاثوليكية[4].

1- الحوار منهجا وثقافة، محمد خليفة حسن أحمد، ص122.

2- واقع الحوار الإسلامي المسيحي عشية المجمع الفاتيكاني الثاني، الأب صلاح أبو جودة اليسوعي، في كتاب واقع الحوار الإسلامي المسيحي، ص28.

3- من وثيقة "نوسترا آيتاتي " (Nostra Aetate) هي إعلان رسمي صادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني في 28 أكتوبر 1965.
https://surl.li/fzjhwz

4- ينظر نص الوثيقة في موقع اللجنة العليا للأخوة الإنسانية: https://www.forhumanfraternity.org/ar/

3-3- احترام معتقدات الطرف الآخر:

الاحترامُ شرطٌ أخلاقي لأي حوار، وتتأكَّد أهميَّتُه في الحوار بين الأديان، لأنه حوارٌ بين معتقدات ورؤى وجودية .والقرآن الكريم ربط الجدالَ مع أهل الكتاب بأن يكون بالتي هي أحسن :« وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [1] .{وقال تعالى} :ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»[2].

وقد تمثَّل كلٌّ من النجاشي وجعفر بن أبي طالب في حوارهما قيمةَ الاحترام خطاباً واستماعاً وتفاعلاً . وتأتي راهنيَّة احترام معتقدات الأديان في السياق المعاصر بما يشهده العالم من تزايُد كراهية الأديان وصدور تقارير أممية بخصوص ذلك.

فلا حوار بين الأديان بدون احترام؛ فهو شرطٌ أخلاقي لا غنى عنه به تتعزَّز الثقةُ بين المتحاورين .وهذا الاحترام يتجاوز مجرَّد التسامح السلبي ليصبح إقراراً إيجابياً بقيمة الآخر، وبناءَ جسور التواصل الفعَّال يتطلَّب الاعترافَ بالتنوُّع قوَّةً إيجابية لا مصدراً للنزاع؛ فالحوار الحقيقي ينبني على أساس متين من التفاهم المتبادل[3].

4- حوار الأديان وحماية حقوق المهاجرين:

ترتبط الهجرةُ في التاريخ الإنساني بالبحث عن الأمان والعدل، ولقد كانت هجرةُ المسلمين إلى الحبشة هروباً من الظلم الذي لحقهم وبحثاً عن ملاذٍ يحميهم ويأويهم .ولقد جسَّد النجاشيُّ المسيحيُّ في موقفه وخطابه مجموعةً من قيم حماية حقوق المهاجرين، نُجملها فيما يأتي:

4-1- الحق في اللجوء والحماية:

جوهرُ موقف النجاشي هو منحُ اللجوء؛ فقد وفَّر للمسلمين ملاذاً آمناً من الاضطهاد الذي كانوا يتعرَّضون له في مكة .وهذا المبدأ هو حجر الزاوية في القانون الدولي للاجئين .ولقد جسَّد النجاشيُّ هذا الموقف بعد الحوار مع جعفر بن أبي طالب حين قال :«اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ سُيُومٌ بِأَرْضِي»، أي آمنون.

ولم تقتصر حمايةُ النجاشي على الحماية الجسدية فحسب، بل امتدَّت إلى الحماية النفسية حين قال : «مَنْ سَبَّكُمْ غُرِّمَ، مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي دَبْراً مِنْ ذَهَبٍ وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلاً مِنْكُمْ» .وما أحوجَ العالمَ إلى حماية حقوق المهاجرين من كل أشكال الاعتداءات خصوصاً مع تزايُد خطابات الكراهية ضدَّهم[4].

---

[1] - سورة العنكبوت، الآية46 .

[2] - سورة النحل، الآية125 .

[3] - في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، محمد حسين فضل الله، ص38.

[4] - ينظر :تقرير الهجرة في العالم لسنة2024 م الذي أصدرته وكالة الأمم المتحدة للهجرة، ص151.

4-2- مبدأ عدم الإعادة القسرية:

يُعتبر رفضُ النجاشي القاطع تسليمَ المهاجرين لوفد قريش رغم الضغوط السياسية عليه تطبيقاً فعلياً لمبدأ «عدم الإعادة القسرية». ويُشكِّل هذا المبدأُ حمايةً أساسية للأشخاص بموجب القانون الدولي لحقوق الإنسان وقانون اللاجئين والقانون الدولي الإنساني[1].

ولقد نصَّت المادة 33 من اتفاقية الأمم المتحدة الخاصة بوضع اللاجئين لعام1951 م على هذا المبدأ: «لا يجوز لأية دولة متعاقدة أن تطرد لاجئاً أو تُعيده بأية صورة من الصور إلى حدود الأقاليم التي تكون حياتُه أو حريَّتُه مهدَّدتين فيها بسبب عرقه أو دينه أو جنسيته أو انتمائه إلى فئة اجتماعية معينة أو بسبب آرائه السياسية».

4-3- الحق في المحاكمة العادلة:

لم يحكم النجاشيُّ على المهاجرين بناءً على ادِّعاءات قريش وحدها، بل أصرَّ على سماع أقوالهم من خلال توجيه أسئلة محدَّدة: السؤال الأول عن طبيعة الدين: «مَا هَذَا الدِّينُ الَّذِي قَدْ فَارَقْتُمْ فِيهِ قَوْمَكُمْ؟»، والسؤال الثاني عن الوحي المنزَّل: «هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ؟»، والسؤال الثالث عن منزلة عيسى عليه السلام: «مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟».

لقد كانت أسئلةُ النجاشي أسئلةً قاصدةً للفهم والبيان لا للسجال والجدال؛ لأن السياق اقتضى منه فهمَ حقيقة دين الإسلام قبل اتخاذ أي قرار بشأن المهاجرين.

4-4- الحق في حرية الاعتقاد والممارسة الدينية:

لم يقتصر دورُ النجاشي على حماية المهاجرين جسدياً، بل امتدَّ إلى حماية حريَّتهم الدينية. قالت أم سلمة: «لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ: النَّجَاشِيَّ، أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَعَبَدْنَا اللَّهَ تَعَالَى لَا نُؤْذَى وَلَا نَسْمَعُ شَيْئاً نَكْرَهُهُ».

والحق في حرية الاعتقاد والممارسة الدينية من الحقوق التي نصَّت عليها المواثيق الدولية لحقوق الإنسان؛ فقد جاء في المادة الرابعة من الاتفاقية الخاصة بوضع اللاجئين: «تمنح الدولُ المتعاقدة اللاجئين داخل أراضيها معاملةً توفِّر لهم على الأقل ذاتَ الرعاية الممنوحة لمواطنيها على صعيد حرية ممارسة شعائرهم الدينية وحرية توفير التربية الدينية لأولادهم».

---

[1] - مبدأ عدم الإعادة القسرية: دراسة تطبيقية في ضوء أحكام المحكمة الأوروبية لحقوق الإنسان، محمود حسين الشرقاوي، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد79 ، العدد79 ، 2023 م، ص186.

5-4- نزاهة الدولة ضامناً للحقوق:

رفض النجاشيُّ هدايا قريش، [1]التي كانت بمثابة رشوة سياسية صريحة له ولبطارقته من أجل تسليم المهاجرين المسلمين .وهو ما يُظهر أن حماية الحقوق لا يمكن أن تُشترى بالمال أو تتأثَّر بالمصالح السياسية؛ فهذه النزاهة ضروريةٌ لضمان احترام حقوق المهاجرين بإنصاف وعدل.

وفي السياق المعاصر تعدَّدت أشكال الضغوط التي تتعرَّض لها الدول المستقبِلة للمهاجرين واللاجئين؛ منها صناديقُ المساعدات وما يرتبط بها من شروط، والاتفاقياتُ السياسية التي تُبرَم بين الدول لإعادة اللاجئين قسراً، وهو ما يتعارض تماماً مع مبدأ عدم الإعادة القسرية.

وفي موقف النجاشي الأخلاقي والتاريخي :«فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ»، تذكيرٌ بأن حقوق الإنسان ليست سلعةً قابلة للمقايضة، وأن حماية المهاجر في حياته ودينه تمثِّل واجباً أخلاقياً وإنسانياً يجب أن يُقدَّم على أي مصلحة سياسية أو اقتصادية.

5- خاتمة:

وفي الختام، يظلُّ حوارُ جعفر بن أبي طالب مع النجاشي نصَّاً مؤسِّساً ملهِماً ثريَّاً بالقيم الإنسانية، يؤكِّد أن الهجرة ليست مجرَّد تنقُّل جغرافي، بل هي فرصةٌ للحوار والتعايش والتعارف .وهو نصٌّ يمكن استثمارُ قيمه في مواجهة التحديات المعاصرة للهجرة في عصر تتزايد فيه الاضطراباتُ والصراعاتُ والحروبُ، ممّا يستدعي من القياداتِ والمؤسساتِ الدينيّة يقظةً أخلاقية وتعاوناً مشتركاً من أجل عالم أكثر عدلاً وسلاماً يحفظ كرامةَ الإنسان أينما كان.

* * *

---

[1] في نص الحوار قال النجاشي :«رُدُّوا عَلَيْهِمَا هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا، فَوَاللَّهِ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الرِّشْوَةَ حِينَ رَدَّ عَلَيَّ مُلْكِي فَآخُذَ الرِّشْوَةَ فِيهِ، وَمَا أَطَاعَ النَّاسَ فِيَّ فَأُطِيعَهُمْ فِيهِ».

لائحة المصادر والمراجع :

1- الأخلاق العالمية: مداها وحدودها، طه عبد الرحمن، سلسلة ورقات طابة، أبو ظبي، العدد 1، يونيو 2008.

2- إرتيريا والحبشة، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.

3- الإرشاد الرسولي فرح الإنجيل، البابا فرنسيس، حاضرة الفاتيكان 2013م.

4- تاريخ الأمم والملوك، ابن جرير الطبري، دار التراث، بيروت، 1387هـ

5- تقرير الهجرة في العالم لسنة 2024 الذي أصدرته وكالة الأمم المتحدة للهجرة.

6- الحوار منهجا وثقافة، محمد خليفة حسن أحمد، وزارة الأوقاق والشؤون الإسلامية، قطر، 2008م.

7- خطاب جعفر بن أبي طالب للنجاشي في أحداث الهجرة الثانية إلى الحبشة: مقاربة تداولية حجاجية، هاني علي سعيد محمد، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، العدد 25، الجزء 11، 2021م.

8- الديانات العالمية ومنزلة الأخلاق في لاهوتها: هانز كونغ نموذجا ، عز الدين عناية، مجلة تفاهم العدد، 55-56، شتاء وربيع 2017.

9- الربيع الأول قراءة سياسية واستراتيجية في السيرة النبوية، وضاح خنفر، جسور للترجمة والنشر، ط1، بيروت 2020م.

10- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)، محمد بن إسحاق، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت ، ط1.، 1398هـ /1978م.

11- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1375هـ - 1955م

12- في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، محمد حسين فضل الله، دار الملاك، بيروت، ط2، 1418هـ/1998م.

13- الكنيسة الأرثوذكسية الإثيوبية تيواهيدو، كريستين شاييو، مؤسسة دعم الحوار بين عائلتي الكنائس الارثوذكسية، باريس، 2002م.

14- مبدأ عدم الإعادة القسرية: دراسة تطبيقية في ضوء أحكام المحكمة الأوربية لحقوق الإنسان، محمود حسين الشرقاوي، المجلة المصرية للقانون الدولي، المجلد 79، العدد 79، السنة 2023.

15- هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ، عبد الله الطيب، مجلة دراسات إفريقية، العدد 18، يناير 1998م.

16- الهجرة وقيم الفطرة، مختار خواجة، مجلة أديان، العدد 10، ماي 2017.

17-واقع الحوار الإسلامي المسيحي بعد مرور 40 عاما على صدور بيان المجمع الفاتيكاني الثاني، سلسلة الندوات الإسلامية المسيحية رقم 04، دار المشرق، بيروت، ط1 ، 2007.

18-وثيقة «نوسترا آيتاتي» (Nostra Aetate) هي إعلان رسمي صادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني في 28 أكتوبر 1965.